عليها كومة من الزبل والديدان أم حفنة من الجواهر وسرباً من العقبان. فهي لا تميّز الأشياء من حيث ألوانها وأشكالها، ولا من حيث قبحها وجمالها، ولا من حيث معانيها وأثمانها. أمّا المميِّز فالمصوّر. والمصوّر الذي من وراء العين هو الوجدان، فكما المصوّر كذلك ما تصوّره عينه. إن يكن جميلاً وطاهراً وصافياً فكلّ ما تصوّره عينه جمال وطهر وصفاء. أو يكن قبيحاً وخبيثاً وعكراً فكلّ ما تصوّره عينه قبح وخبث وعكر. أو يكن بين بين فعينه تنقل له صور العوالم بين بين.

أجل، هو الوجدان ـ ذلكم المصهر العجيب ـ يضفي على الأشياء روعتها وبهجتها وجلالها أو عكس ذلك بالتمام. فالأشياء في ذاتها بريئة من كلّ ما ننسبه إليها من الصفات. فهي جميلة أو قبيحة على قدر ما نسبغ عليها من جمال أو قباحة في وجداننا، وهي ثمينة أو بخسة، وكريمة أو خسيسة، ومفرحة أو محزنة، على قدر ما في أنفسنا من فهم لقيمتها، ومن كرامة وخساسة، ومن حزن وفرح. فقلب لفّه الحزنُ بالحدادِ لا يُبصرُ حتى في الروضة الغنّاء غير الحداد. وفكرٌ حاصرته هواجس خسيسة لا يرى في الكون إلّا الخساسة. وخيالٌ كبّلته الهموم يصوّر كلّ ما حواليه في غلائل من الهمّ. وعلى العكس قلبٌ نشوان بغبطة الوجود، وفكرٌ هائمٌ